النتاج الجديد

دراسات في القضية الفلسطينية

« القضية العربية في صراعها مع الصهيونية العالمية » . العدد ٤٩ من « المعرفة »
« الصراع العربي الاسرائيلي » . العدد ٥ من « الطليعة »

جرت العادة ، منذ ان صدر وعد بلفور في الثاني من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧ ، ان يكون تشرين الثاني (نوفمبر) شهر فلسطين، فتخصص الصحف فيه صفحاتها للحديث عن المشكلة الكبرى التي كانت، الى ١٩٤٨، مشكلة حماية ارض فلسطين العربية من الغزو الصهيوني المتآمر عليها بالتحالف مع الحكومة البريطانية . لكن شهر ايار (مايو) اخذ محل تشرين الثاني (نوفمبر) بعد ان حصل الغزو بالفعل ، واحتل الصهيونيون الجزء الاخصب والاكبر من فلسطين . ومثل كل ايار (مايو) آخر منذ حوالي ثمانية عشر عاما ، قرأنا في المجلات والجرائد العربية عن فلسطين، في ايار (مايو)هذه السنة، اغزر واكثف مما نقرأ في اشهر السنة الاخرى. لكن ما تفوق به هذا الشهر التاريخي من السنة الحالية هو صدور عددين خاصين عن فلسطين من مجلتين عربيتين رئيسيتين . وجه الاهمية ليس فقط ان المجلتين (« المعرفة» السورية و « الطليعة » المصرية)تعبران عن اتجاهين رئيسيين في الفكر العربي السياسي المعاصر، بل ايضا لان المقالات فيهما كان معظمها اقرب الى الابحاث والدراسات منها الى المقالات الصحافية العابرة التي تشيع كتابة امثالها في المناسبات والمواسم ، والتي تتصف عادة بالعاطفية والتكرار. ان العددين المذكورين من المجلات القليلة التي سيحرص طالب القضية الفلسطينية ،تاريخيا او سياسيا ، على تضمنها في مكتبته كجزء من مراجع دراسته .

ولا جدال اننا لا نزال بحاجة الى الكثير من المعلومات عن القضية الفلسطينية. فان السبعين سنة التي مرت منذ ان تكونت الحركة الصهيونية بشكلها الرسمي (في مؤتمر بال ١٨٩٧) ، وان خمسين سنة التي مرت منذ ان دخل الانكليز فلسطين ومنذ ان عقدوا اتفاقية سايكس – بيكو واصدروا وعد بلفور، لتقسيم الوطن العربي واقامة وطن قومي لليهود في جزء منه (في ١٩١٦ – ١٩١٧) ، وان الثمانية عشر عاما التي مرت منذ خسارة فلسطين في جولة ١٩٤٨ الاولى ، ان تلك السنين كلها لم تكف العرب ، للاسف ، للتعرف على الصهيونية ، طولا وعرضا ، تعرفا صحيحا يمهد لتصحيح الاعوجاج واستعادة الحق السليب .

من هنا كنا نرحب بكل كلمة جديدة تكتب عن فلسطين ، ماضيا او حاضرا او مستقبلا، شرط ان تكون جديدة وان تكون صحيحة. ومن هنا، ايضا، لم يكن ترديد مجلتي « المعرفة » و «الطليعة» لبعض المواضيع التي سبق الكلام فيها (بشكل وافر احيانا) مزعجا ولا اضاعة للوقت ولا للجهد : كدراسة تاريخ بعض المؤسسات الصهيونية ايام الانتداب ، او تاريخ علاقة الصهيونية بالنوايا الاستعمارية . بل لم يكن من المزعج اعادة نشر بعض الابحاث التي سبق نشرها على نطاق ضيق او خاص اما بالحرف الواحد او لبعض منها . ففي « المعرفة » اكثر من خمسة ابحاث نشرت في وقت سابق يتراوح بين عشرين سنة(كمقال الاستاذ البرت حوراني عن ان الصهيونية ليست الحل للقضية اليهودية ـ ولكن كان يكون افضل لو عهد للكاتب بان يعلق على مقاله اليوم من وحي ما حصل بالفعل خلال العقدين الماضيين ، ومعظم ما حصل اثبت وجهة نظره) وبين سنة واحدة فقط (كمقال الدكتور قسطنطين زريق في الدعوة لانشاء « علم للنكبة ») . انما ما يمكن ان يسجل كمأخذ، بهذا الخصوص ، هو ان بعض المقالات ، وخاصة في « الطليعة »،اكثر من البدهيات التي اصبح القارىء العربي العادي (ليس الاختصاصي فحسب) يعرفها – كمقال لطفي الخولي الجيد عن جذور وابعاد الصراع

العربي الاسرائيلي ، حيث يتحدث مطولا عن عداء العرب للصهيونية لا لليهودية ، وحيث يفرق مطولا بين العروبة والاسلام ، وهي قضايا لم تعد بحاجة لشرح ولا لتفصيل بالنسبة للمواطن العربي .

مقابل هذا نجد في «المعرفة» جهدا وتوفرا على تنوير فكر القارىء تنويرا مركزا وجديدا على صعيدين : صعيد الابحاث الفلسطينية التي تعالج بعض نواحي القضية الفلسطينية من الناحية النظرية (كمقال البرت حوراني الآنف الذكر ، ومقابلة سليمان قطايا مع المفكر الاشتراكي اليهودي الفرنسي مكسيم رودنسون) ، وصعيد المعلومات والاحصاءات والوثائق (كمقال شاكر مصطفى عن اسرائيل وافريقيا ، وفايز صايغ عن الامم المتحدة وقضية فلسطين ، وجورج طعمه عن تمويل الغرب ، وخاصة امريكا ، للحركة الصهيونية) .

والدليل على اهمية معالجة القضية الفلسطينية ان في المجلتين عددا من المسائل التي عولجت في كلتيهما: كعلاقة اسرائيل بالاستعمار والامبريالية ، ونشاطها في افريقيا ، والعرقية الصهيونية ، ومحاولة العثور على صيغة عربية لمواجهة العدو اليوم وغدا . ولسنا هنا نحاول ان نقارن بين جودة المعالجة في كل من المجلتين ، اذ ان كل مقال انما هو وحدة قائمة بذاتها. لكننا نلاحظ ، من الجهة الواحدة ، ان بعض مقالات « المعرفة » تمتاز عن معظم مقالات « الطليعة » بالغوص اعمق في البحث عن الاصول. ونلاحظ ، من الجهة الاخرى ، ان في « الطليعة » توجيها واشرافا عاما اوسع ، من جهة رئيس التحرير ، مما في « المعرفة » . فانه لما يؤخذ على « المعرفة » ان العدد يكاد يكون بلا تحرير ولا تنسيق . اكتفى قلم التحرير بان يعهد الى كتاب معروفين باختصاصهم بالقضية الفلسطينية بان يكتبوا عما يعرفونه من نواحٍ خاصة ، ثم نشر المقالات التي وردته منهم. فالمواضيع متناثرة ومتنافرة احيانا. ونسب الجودة فيها متباعدة. ومع ان معظمها ممتاز يليق بافضل الكتب المرجعية في القضية ، يناسب بعضها الصحف السيارة التي اعتادت العلاج السريع. كما نشرت تفاصيل جلسات ندوة فلسطين (التي انعقدت في القاهرة ربيع ١٩٦٥) مع ان صحفا كثيرة نشرتها منذ اشهر بشكل مفصل وواسع . كما نشرت قائمة مقتضبة لمراجع بعض نواحي القضية ، دون ان يكون فيها وحدة او انسجام ، ودون ان تكون القائمة تفي باي غرض . بل ان ترقيم الصفحات في « المعرفة » فيه لخبطة وتكرار وعدم تناسق . كذلك الفهارس والتبويب بشكل عام . وهي امور قد لا تكون مهمة بالنسبة الى مجلة عادية او عدد عادي ، ولكنها مهمة بالنسبة الى مجلة – مرجع. ولا شك ان العدد كان يكون افضل ايضا لو تحاشى القليلون من الكتّاب بعض انزلاقاتهم العاطفية . فخاصة في قضية فلسطين ، حيث الخسارة اجسم من ان نكبت مشاعرنا ، يجب ان نحذر من ان نخلط الحقائق بالعواطف ، ما دام في الحقائق من القوة والحجة ما يكفي للتعبير عن نفسها . ثم ان بعض المقالات يناسب عددا مثل هذا العدد يصدر بلغة اجنبية لان القصد منها توضيح نواحٍ من القضية للغرب اكثر منها للعرب (كمقال الدكتور عزت طنوس عن قيام اسرائيل على العنف) .

وما يميز المجلة الواحدة عن الاخرى ، بنظرة سريعة ، هو ان عدد « المعرفة » عن « الصهيونية » بالدرجة الاولى ، بينما عدد « الطليعة » عن « اسرائيل » ؛ وان « المعرفة » تهتم بالماضي بالدرجة الاولى ، بينما تهتم « الطليعة » بالحاضر والمستقبل ، وان قسما كبيرا من ابحاث « المعرفة » يتناول تاريخ الصهيونية وصراعها مع القومية العربية ، بينما يتناول القسم الاكبر من مقالات « الطليعة » المظاهر الاقتصادية للكيان المغتصب .

ومن جملة ماتخدم المجلتان به القارىء فكرتان قد تخطران لباله عند مطالعة مقال جيد في «الطليعة» عن « ازمة اسرائيل من الداخل »، وباب جيد في « المعرفة » هو « دراسات وترجمات في كتب القضية » اولاهما : لماذا لا يصدر عن هذه المجلة او تلك او عن اية مجلة عربية اخرى تشترك معهما في التحسس باهمية القضية الفلسطينية ووجوب درسها عدد خاص عن « اساسيات » النظام والحياة في اسرائيل من الداخل ، – عن الحياة فيها اليوم بشكل عام : جيشها ، اقتصادها ، ادارتها ، حكومتها ، احزابها ، منشوراتها ، صحفها ، جامعاتها ، الخ ، بشكل مركز مقتضب وبتبويب

أيجدي يكون في المستقبل مرجعا سريعا لكل من يريد معرفة امر هام من امور الحياة والنظام في البلد المحتل . ثانيتها : لماذا لا يصدر عدد خاص آخر يستعرض العشرات من الكتب التي صدرت بلغات اجنبية، في العقد الاخيراوالعقدين الاخيرين،ويعرف القارىء عليها كاحصل للكتب الاربعةالتي استعرضها باب نقد الكتب في « المعرفة »- ونقد احد هذه الكتب ، كتاب اثل منين « في الطريق الى بئر سبع » ، يمكن ان يؤخذ كانموذج على ذلك . فهو من احسن ما صدر من دراسات عن الكتاب المذكور حتى الآن ، من حيث التحليل السياسي لا الفني،ومن حيث الاشارة الى معاني الرواية السياسية ومدلولاتها التاريخية . يضيف الى اهمية جهد من هذا النوع ان اغلبية القراء العرب ، وهي اما لاتعرف الا العربية او انها لا تطالع عادة الا الكتب العربية حتى وان كانت تعرف لغة او لغات اجنبية ، تجهل الكثير مما يصدر في الخارج من كتب عنا وعن قضايانا ، سياسية كانت او قصصية او رحلات او سير ذاتية ، الا من خلال اخبار مقتضبة في بعض الصحف العابرة او من خلال ترجمات معظمها دون المستوى ، ان لم يكن مشوها .

ثم يبرهن عددا « الطليعة » و« المعرفة » على ايماننا بان المؤسسات الخاصة (وهما مؤسستان خاصتان حتى وان كانتاعلى ارتباط بحكومتي البلدين اللذين يصدران فيهما) تستطيع ان تفعل الكثير في خدمة القضية الفلسطينية وفي انارة الاذهان بشأنها ، كما يبرهنان على ضرورة عدم ترك الامور كلها على عاتق الحكومات واجهزتها الرسمية ، خاصة في هذا الوقت، الذي مرور ثمانية عشر عاما على النكبة ، حيث نشأت مؤسسات خاصة تظهر مؤخرا من اجل درس القضية فلسطين (وبينها مركزان للابحاث في بيروت، واحدة في القاهرة ، ومجلة نصف شهرية خاصة بفلسطين تصدر عن احدى الصحف اللبنانية) . على ان المؤسسات غير الحكومية هي المؤهلة لعمل مثل هذا اكثر من غيرها . فانها تستطيع ، مثلا ، ان تستقطب وتستكتب الاختصاصيين في الموضوع مهما كانت اتجاهاتهم الفكرية وولاءاتهم الحزبية وانتماءاتهم العربية . ثم انها تستطيع معالجة بعض الامور بحرية اكثر . تستطيع ، مثلا ، ان تتناول قضية الدعاوة العربية في الخارج بتحرر وبنقد اوسع مما لو كانت مؤسسة حكومية . وحديث الدعاوة لا بد من خوضه في اي كلام عن فلسطين. غير ان « المعرفة » لا تكتفي بتقديم وجهة نظر واحدة ، بل تقدم رأيين . فبينما يتبنى عبد الله عبد الدائم الفكرة السائدة باهمية الدعاوة ويهاجم تقصير الحكومات العربية ويدعو الى المزيد من النشاط ، وهو مسؤول حكومي في بلده (او كان كذلك عند كتابة مقاله) ، يخالفه سامي هداوي الرأي ، مع انه هو نفسه عمل في حقل الدعاوة مطولا . ونحن نفهم ان يقول السيد هداوي « انه لا يمكن ايجاد حل مرض للقضية الفلسطينية الا اذا جاء هذا الحل من داخل العالم العربي » ، لكننا لا نرى مثله«ان الجهود العربيةالتي بذلت في الخارج خلال العشرين عاما المنصرمة لم تنتج شيئا بل على العكس دفعت الدعاية الصهيونية على زيادة نشاطها». فان مجرد دفع الدعاية العربية للصهيونيين على زيادة نشاطهم هو بحد ذاته دليل على ان الدعاية العربية اثمرت ولذا احس بها العدو وتأثر بها .

يخرج القارىء من مطالعة المجلتين بآراء ومعلومات جديدة في القضية، تصحح بعض ما قد يكون قد رسب بعقله من قبل، من معلومات او تفسيرات يخطئها بعض اصحاب المقالات . فسليمان الخشن يصحح القول الشائع ان اسرائيل تتلاعب بالدول الاستعمارية . ويصحح عزة دروزة التصوير الشائع لضياع فلسطين وكأنه ضياع لاندلس جديدة . ويصحح شاكر مصطفى الاعتقاد الشائع بان العرب اسيويون مع ان اكثر من نصفهم افريقيون . ويصحح فايز صايغ الزعم الغربي الشائع بان اليهود يطيعون قرارات الامم المتحدة ويثبت عكس ذلك. مقابل هذا يحسن بنا ان نشير الى اخطاء قليلة كان الاجدر بالكتّاب او بالمحرر تحاشيها ، كالقول ان الاقلية المسيحية في فرنسا ارثوذكسية، وان العرب احتلوا فلسطين قبل الرومان ، وتسمية الكاتب المعاصر عبد اللطيف الطيباوي باسم « ا . ل . طيباوي »، واغفال ذكر المصادر التي اخذت مجلة « المعرفة » عنها بعض مقالاتها ، وعدم اتباع نمط موحد معين من تهجئة اسماء الاعلام الاجنبية ، مثل هيرتزل ووايزمن .

انيس صايغ